|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| |  |  | | --- | --- | | |  | | --- | | **​8-621.jpg**  **يكون الخوف غالبا من معلوم أو مجهول؛ فالإنسان يخاف مما يعلم يقينا أنه سيضره، أو مما لا يعلم عنه شيئا، مخافة أن يناله منه ضرر، طالما لا يعلم يقينا أنه سينفعه، واستنادا إلى هذا المفهوم الأخير جاءت المقولة واسعة الانتشار «الإنسان عدو ما يجهل».**  **أما ظاهرة ما يسمى «الإسلاموفوبيا»، وهي تعني الخوف من الإسلام، أو تخويف غير المسلمين مما يصور بأنه خطر إسلامي، محدق بكل من هو غير مسلم، فإن هذه الظاهرة قديمة قدم الدين نفسه، وقد بدأت مع بداية الدعوة الإسلامية، بل إن أعداء الإسلام اتخذوها سبيلا وسلاحا ليحولوا بين الدين ومن يريد اعتناقه، حيث لا يمكن تخويف المسلم من الإسلام أبدا، وإنما يكون التخويف لغير المسلم، ويرتكز المخوف عادة على أحد جانبين، حسب حالة الذي يستهدف تخويفه؛ فإن كان المستهدف يعرف الإسلام في مقاصده العليا وشريعته التي تقوم على العدل والمساواة، ورفض الظلم والعدوان واحترام إنسانية الإنسان وحريته، فإن المخوف يلجأ إلى «تضليل الفهم»، محاولا محو تلك الصورة، واستبدال صورة بشعة بها عن الدين الإسلامي، وقد يستعين في سبيل ذلك بكلام أو أفعال بعض المنتمين للدين الإسلامي أنفسهم، من أولئك المنتسبين لتيارات اتخذت من الغلو منهجا وسبيلا، وربما وقعوا في أخطاء جسام، { وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا } (الكهف:104).**  **وإذا كان المستهدف لا يعرف شيئا عن الإسلام وتفاصيل شريعته، فإن المهمة تكون أيسر على المخوف، ويكون دوره مركزا على «تضخيم الوهم»، ذلك الوهم الذي يشيعه البعض عن الدين الإسلامي وعدائه للآخر.**  **إن استيعاب هاتين الطريقتين ووضوحهما أمام الداعية المسلم والمجتمع الإسلامي عامة لحري أن يجعله لا يمد خصومه بالوقود اللازم والهواء الذي يستعين به في النفخ في تلك الجمرة الخبيثة؛ وهي الخوف من الدين الإسلامي.**  **لقد فطن أعداء الإسلام من بداية الدعوة إليه إلى أن الهجوم عليه من داخله لا أمل فيه، فالدين الإسلامي من الإحكام بحيث لا يأتيه الباطل من أية جهة يراد النيل منه من خلالها؛ فلم يبق أمام خصومه إلا الهجوم عليه من الخارج بالتخويف والتشويه.**  **ومثالا لهذا، نتأمل الموقف القديم لخصومه عندما اجتمعوا حول الوليد ابن المغيرة ليشير عليهم ماذا يقولون للعرب الوافدين إلى مكة، حتى لا يقتنعوا بالدين الإسلامي، وقد استعرضوا الآراء في ذلك، وفي كل مرة يفند الوليد رأيهم وينكره عليهم، فليس ما دعا إليه محمد  " صلى الله عليه وسلم"  جنونا ولا كهانة، وليس القرآن شعرا، وكل ذلك مكشوف وغير مقبول، وفي النهاية استقر رأيه على أن يخوفوا الناس من الاستماع إليه فضلا عن اتباعه، مشيعين أنه ساحر. يقول ابن هشام: «قرب موسم الحج، وعرفت قريش أن وفود العرب ستقدم عليهم، فرأت أنه لابد من كلمة يقولونها للعرب في شأن محمد  " صلى الله عليه وسلم" ، حتى لا يكون لدعوته أثر في نفوس العرب، فاجتمعوا إلى الوليد بن المغيرة يتداولون في تلك الكلمة، فقال لهم الوليد: أجمعوا فيه رأيا واحدا، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا، ويرد قولكم بعضه بعضا. قالوا: فأنت فقل. قال: بل أنتم فقولوا! أسمع. قالوا: نقول: كاهن. قال: لا والله ما هو بكاهن؛ لقد رأينا الكهان، فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه. قالوا: فنقول: مجنون. قال: ما هو بمجنون؛ لقد رأينا الجنون وعرفناه، ما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته. قالوا: فنقول: شاعر. قال: ما هو بشاعر؛ لقد عرفنا الشعر كله، رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه، فما هو بالشعر. قالوا: فنقول: ساحر. قال: ما هو بساحر؛ لقد رأينا السحار وسحرهم، فما هو بنفثهم ولا عقدهم. قالوا: فما نقول؟ قال: والله إن لقوله لحلاوة، وإن أصله لعذق، وإن فرعه لجناة، وما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا عرف أنه باطل، وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا: ساحر. جاء بقول هو سحر يفرق بين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته».**  **التخويف من الإسلام والاحتيال لذلك بغير الحق إذن أمر قديم جدا، أما مصطلح «الإسلاموفوبيا» فهو من المصطلحات التي تم تداولها حديثا، وقد تعلق بصورة خاصة بعلاقة الإسلام بالغرب غير المسلم. وقد تم تركيب هذا المصطلح ليكون أكثر تعبيرا عن ظاهرة الرهاب أو الخوف المرضي من الإسلام؛ حيث يتحول ذلك الخوف إلى صورة مرضية، فينتقل بالعدوى والتبعية والتوارث دون تحليل أو فهم أو إدراك، فيسهل جني العديد من الثمار بأقل جهد؛ إذ لا يلزم المخوف سوى نشر البذور وتهيئة المناخ المناسب لنموها وتناميها، ثم تنشر ثمارها بالقوانين الطبيعية.**  **وقد كانت أحداث الحادي عشر من أيلول «سبتمبر» الشهيرة عام (2001م) في الولايات المتحدة الأمريكية بمثابة توكيد وتأييد وبث الروح في ظاهرة «الإسلاموفوبيا» وبعثها من جديد بقوة لا تحتاج إلى كثير من المبررات؛ إذ تكفي الإشارة إلى تلك الأحداث، التي كانت بمثابة التأكيد لدى الذهنية الغربية على معتقد نظري ظل يترسخ في وجدانهم؛ مفاده أن الإسلام خطر داهم محدق يتهدد كل ما هو غربي، وكأن هناك علاقة حتمية بين ارتقاء الحضارة الإسلامية وانحدار الحضارة الغربية؛ وكأن إحداهما لا بد أن تكون على حساب الأخرى.**  **وفي إطار تضليل الفهم المستمر نرصد بعض الظواهر كمثال من الكثير؛ فقد حرص خصوم الإسلام على تصويره بأنه دين مادي دموي قام وانتشر بالسيف، وأنه لم يسْتمد من الله مباشرة، وإنما هو تقليد لأديان سابقة عليه كاليهودية والمسيحية... إلخ. ولأن الرسول  " صلى الله عليه وسلم"  هو صاحب الدعوة إلى الإسلام ورمزها، فقد تتابعت في السنوات العشر الأخيرة الإساءة إليه، بهدف الإساءة إلى الدين الإسلامي ذاته.**  **وفي ملحمة «الكوميديا الإلهية» لكاتبها دانتي، التي صدرت في أوائل القرن الرابع عشر الميلادي، تطاولات على الرسول  " صلى الله عليه وسلم" ، وكذلك فولتير ذلك الذي يعد من حملة مشاعل التنوير؛ فقد نشر في القرن الثامن عشر الميلادي مسرحية اسمها «التعصب أو النبي محمد»، وصف فيها الرسول  " صلى الله عليه وسلم"  بصفات لا يليق بمسلم ذكرها، تتعلق بالاستبداد وحب الملذات وغير ذلك من الافتراءات.**  **ومن ذلك أيضا ما فعله الكاتب البريطاني الهندي الأصل سلمان رشدي، عندما نشر روايته الشهيرة «آيات شيطانية» سنة (1988م)، وقد نال العديد من الدعم والتكريم من العالم الغربي، بحجة احترام حرية التعبير.**  **ثم تأتي في إطار هذه الحملة التاريخية للتشويه الرسومات الكاريكاتورية التي نشرتها صحيفة «يولاندز بوسطن» الدنماركية في الثلاثين من أيلول «سبتمبر» عام (2005م) تسيء فيها إلى الرسول محمد  " صلى الله عليه وسلم" ، ولم يقف الأمر بالجريدة عند نشر تلك الرسوم، وإنما تأكيدا للحملة المنظمة، شفعتها بمقال لرئيس التحرير يبدي فيه دهشته واستنكاره للقداسة التي يحيط بها المسلمون نبيهم، ويعتبر ذلك نوعا من الهراء الذي يدل على جنون العظمة ليس أكثر، ثم دعا إلى فضح ما سماه «التاريخ المظلم» لنبي الإسلام -حسب زعمه- وإبرازه للرأي العام العالمي، ويأتي كل ذلك في إطار تضليل الفهم وتضخيم الوهم -الذي أشرت إليه- لتعضيد ظاهرة «الإسلاموفوبيا».**  **إن الغلو في تشويه الإسلام وتضليل الأفهام بالباطل قد استحث البعض من غير المسلمين على مدار التاريخ للرد عليه، بالمنطق العقلي إن لم يكن بالمنطق الإيماني، على نحو ما وجدنا توماس كارليل يقول: «لقد أصبح من أكبر العار على أي فرد متمدين من أبناء هذا العصر أن يصغي إلى ما يظن من أن دين الإسلام كذب، وأن محمدا خداع مزور، أما آن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة؛ فإن الرسالة التي أداها ذلك الرسول ما زالت السراج المنير مدة اثني عشــــر قــرنا -14 قرنا الآن- لنحو مائتي مليون من الناس أمثالنا خلقهم الله الذي خلقنا، أفكان أحدكم يظن أن هذه الرسالة التي عاش بها ومات عليها هذه الملايين الفائقة الحصر والإحصاء كذبة وخدعة؟! أما أنا فلا أستطيع أن أرى هذا الرأي أبدا، ولو أن الكذب والغش يروجان عند خلق الله هذا الرواج، ويصادفان منهم مثل ذلك التصديق والقبول، فما الناس إلا بلْه ومجانين، وما الحياة إلا سخف وعبث وأضلولة».**  **وللأديب الروسي تولستوي كتاب عن النبي محمد  " صلى الله عليه وسلم"  دافع فيه عنه، وضمنه 64 حديثا من الأحاديث النبوية، ومنها: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» (رواه البخاري ومسلم)، وغيرها مما يدل على التسامح، ونشر المحبة والأمن، ويدحض ما يثار من شبهات وأباطيل.**  **وفي هذا العصر نجد السيناتور الأمريكي بول فندلي يتناول ذلك في كتابه: «لا سكوت بعد اليوم»، وقد عرف عنه وقوفه مع الحق وجرأته في مواجهة قومه من الغربيين بالحقائق، وهو قد قضى في الكونغرس الأمريكي 22 عاما يشاكس أصحاب القرار في الولايات المتحدة، ويصحح المفاهيم الخاطئة التي ترسخت في أذهان الغرب، وقد عمل على تصحيح المفاهيم حول الدين الإسلامي، وكسْر حاجز الجهل الغربي بحقيقة الإسلام، وفضْح تلك الضلالات التي عمد خصوم الإسلام إلى ترسيخها لدى المواطن الغربي في إطار ما ذكرناه من «تضخيم الوهم» بأن الإسلام يحتقر المرأة، ويحد من الحرية الشخصية.. وغير ذلك من أغلاط مشهورة، وقد رأى بول فندلي أن جهل الغربيين بالإسلام وتنامي خوفهم منه يعود إلى عدة أسباب، منها:**  **1ـ الحرص الدائم على تجنب الإشارة إلى الأخلاق الإسلامية، والاقتصار على طرح الأخلاق اليهودية والمسيحية في المجتمع الأمريكي، بوصفها الجديرة بالاتباع، بل يتعدى الأمر إلى تصوير الأخلاق الإسلامية بشكل منفر إذا اقتضى الأمر الحديث عنها. فأصبحت اليهودية والمسيحية في نظر الأمريكيين طريقا للتقدم والرقي، بينما يعبر الإسلام عن القوة المتخلفة والخطرة على الإنسانية.**  **2- ما يقوم به اللوبي اليهودي من تشويه صورة المسلمين، وإظهار إسرائيل باعتبارها مسالمة وضعيفة، يهدد المسلمون وجودها.**  **3- تصوير الحركات الإسلامية، وبخاصة المقاومة، في الإعلام الغربي على أنها حركات إرهابية لا تحترم حقوق الإنسان. بل إن بعض هذه الوسائل لا تتورع عن فبركة برامج تضخم دعوات بعض المسلمين إلى محاربة أمريكا وإسرائيل والغرب، مخرجة تلك الدعوات عن سياقاتها تماما.**  **4- وصف الإسلام بالإرهاب والتعصب، وعدم التسامح مع غير المسلمين، وتجريم الديمقراطية، وعبادة إله انتقامي، ثم تخويف الغربيين من خطره المتصاعد، ومن حرب إسلامية غربية قادمة؛ حتى لا يتراجع الغربيون عن دعمهم المستمر للكيان الصهيوني.**  **وختاما أقول: إن على الباحث والداعية والإعلامي، بل والمواطن المسلم الذي يعيش في الغرب أو يتوجه إليه بالخطاب، أن يعي جيدا هذا التيار الغربي الذي يرعى ويغذي ظاهرة «الإسلاموفوبيا»، ويتخذ في سبيل ذلك مسلكين خطيرين هما: «تضليل الفهم» و«تضخيم الوهم»؛ فيتتبعهما بالتصحيح القولي والعملي، مع تجنب الخطاب الاعتذاري والتبريري الذي قد يكون في مجمله مسيئا لا مصححا.** | | |